

مذكرة العراق عن قضية فلسطين* 23 تموز 1947

قدمها باللغة الإنكليزية معالي الدكتور محمد فاضل الجمالي وزير الخارجية العراقية
إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بقضية فلسطين في
اجتماعها السري المنعقد في صوفر (لبنان)
بتاريخ 23 تموز 1947

حضرة الرئيس وحضرات أعضاء لجنة التحقيق عن فلسطين لهيئة الأمم المتحدة.
أتشرف بالنيابة عن الحكومة العراقية أن أبدي بأني متفق في الرأي مع كل ما جاء في
المذكرة التي قدمتها الدول العربية، وأرجو أن تسمحوا لي بأن أشرح في هذه المذكرة الإضافية
بعض النقاط الواردة في تلك المذكرة بشيء من الإسهاب والتأكيد. وهي تتلخص بالنقاط الرئيسية
الأربع الآتية:

- 1 - حقوق العرب وأمانهم، والانتداب على فلسطين.
- 2 - أهداف الصهيونية وادعاءاتها وأساليبها.
- 3 - الأمور التي تنطوي عليها مشكلة فلسطين.
- 4 - استنتاجات واقتراحات.

1 - حقوق العرب وأمانهم والانتداب على فلسطين

إن فلسطين جزء لا يتجزأ من العالم العربي، وهي واقعة في قسم حيوي منه كما أنها من
الوجهة الجغرافية كائنة في قلب العالم العربي. فلو أراد أحد السفر على الطرق الاعتيادية التي
تقطع العالم العربي من الشمال إلى الجنوب أو من الشرق إلى الغرب فعليه أن يمر بفلسطين. وهكذا

*المصدر: وزارة الخارجية العراقية، مطبعة الحكومة، بغداد، 1947.

نرى أن القادم إلى مصر من العراق أو سورية أو لبنان أو القادم من لبنان أو سورية إلى المملكة العربية السعودية أو الحجاز لأداء فريضة الحج عليه أن يمر بفلسطين. وما فلسطين سوى القسم الجنوبي من سورية كما كانت قبلاً. كما أن سكان فلسطين الأصليين هم سكان سورية أنفسهم ويرتبط هؤلاء من الوجهتين الثقافية والقومية بباقي سكان العالم العربي.

لقد انضم العرب إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى تحت قيادة المغفور له جلالة الملك حسين وأبنائه (أحدهم جلالة الملك فيصل الأول مؤسس دولة العراق الفتية) وحاربوا من أجل تحرير العرب ووحدتهم بما في ضمنهم عرب فلسطين. وقد قطع الحلفاء من جانبهم الوعود الصريحة للعرب، وأكدوا لهم بأنهم سيساندونهم لنيل أمانيتهم القومية، وصرحوا بأن جيوشهم قد جاءت لتحرير البلاد العربية وليس للاستيلاء عليها، كما كان من المفروغ منه بأن مبدأ الرئيس ولسن بشأن تقرير المصير سيطبق على الأراضي المحررة بما في ضمنها فلسطين. إن فلسطين لم تكن مستثناة من المناطق التي تناولها وعد الحرية والاستقلال، ولكن حتى بدون هذه الوعود هلا يحق لسكان فلسطين أسوة بباقي سكان العالم العربي التمتع بالحرية والاستقلال. إن عرب فلسطين، كبقية شعوب العالم العربي، كانوا يأملون نوال أمانيتهم القومية. ولكن ماذا كانت النتيجة؟ إن هذه النتيجة كانت خيبة آمالهم في أواخر الحرب العالمية الأولى إذ أنه صدر في سنة 1917 تصريح بلفور الذي وعد فيه اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وذلك بدون علم سكان فلسطين الأصليين أو رضاهم. وهو خرق صريح لجميع النواميس الأخلاقية والحقوق الإنسانية وهذا هو منشأ الخلاف كله. إن إعطاء ذلك الوعد كان يفترض ولا شك واحداً من ثلاثة أمور: إما أن فلسطين كانت بلداً خالياً من السكان ولا يعود لأحد ما، وإما أن سكان فلسطين كانوا عبارة عن شعب معاد في الاستطاعة استعمار أراضيه واستغلالها دون أن يعترف بحقهم في إبداء رأي كان، وإما أن سكان فلسطين هم من الأقوام المنحطة فلا يعبأ بهم ولا يكثر لرايهم. إن كل واحد من هذه الافتراضات كانت خاطئة كل الخطأ إذ إن فلسطين ليست بلداً بدون شعب حتى تعطى لشعب بدون أرض، إن فلسطين لها شعبها الأصلي، وهم يؤلفون سكان البلاد. وقد اشترك كثير من رجالها في الثورة العربية، ولذلك فهم أهل لأن يتمتعوا بحقهم في الحرية والاستقلال بوصفهم حلفاء مخلصين لا أعداء يمكن التصرف ببلادهم من غير علمهم أو رضاهم. وأخيراً إن شعب

فلسطين، كبقية شعوب العالم العربي، هم شعب له تاريخه المجيد وثقافته الخاصة، وهم ليسوا شعباً من الطراز الذي يخضع للسيطرة ولاستعمار الأجنبيين.

أما وضع بعض الغرباء الخياليين خطأً للمجئ إلى فلسطين واحتلالها فلا يمكن أن يعد إلا حركة عدوانية، وخرقاً لمبادئ السلم ودكاً لقواعد العدل والديمقراطية.

ومما يدعو إلى الأسف أن تصريح بلفور أدخل في صك الانتداب الذي وضعت عصبه الأمم وأعطته صبغة دولية، فكان ذلك خطأ فادحاً من جانب عصبه الأمم، أدى إلى خرق السلم العالمي والاستقرار في هذا القسم من العالم للثلاثين عاماً الماضية. إن صك الانتداب من وجهة عامة قد خرق جميع المبادئ الديمقراطية، ومبدأ حق تقرير المصير المنصوص عليهما في ميثاق عصبه الأمم، وعلى الأخص خرق أحكام الفقرة الرابعة من المادة 22 من الميثاق المذكور روحاً ونصاً تلك المادة التي تنص على:

”إن بعض الجماعات التي كانت فيما مضى تابعة للإمبراطورية العثمانية قد وصلت إلى مرحلة من التقدم يمكن فيها الاعتراف بها مؤقتاً بوصفها شعوباً مستقلة على أن تسدي لها الدولة المنتدبة المشورة والمساعدة الإداريتين إلى أن تتمكن من الوقوف لوحدها. ومن المحتم أن تؤخذ رغبات هذه الجماعات بنظر الاعتبار عند اختيار الدولة المنتدبة“.

إن هذه الفقرة تعترف بصراحة بحقوق عرب فلسطين في الاستقلال وفي اختيار الدولة المنتدبة من قبل سكانها. إن صك الانتداب على فلسطين تجاهل هذه الحقوق تجاهلاً تاماً، كما تجاهل الغرض الحقيقي من الانتداب وهو إبقاء الشعب أمانة لدى الدولة المنتدبة لغرض تدريبه وتوجيهه نحو الحكم الذاتي والاستقلال، وليس لغرض منع هذين الأمرين عنه بقصد فرض جماعة غريبة عليه للسيطرة على البلاد وتأسيس دولة فيها. وهكذا نجد أن الانتداب على فلسطين لا يستند إلى أسس أخلاقية أو قانونية إذ ليس لعصبه الأمم سلطة قانونية أو أدبية لخرق ميثاقها نصاً وروحاً. فماذا كانت النتيجة يا ترى؟ كما كان من المتوقع أن العرب لم يعترفوا من أول الأمر بقانونية الانتداب وبمشروعيته على فلسطين. فيوم تصريح بلفور هو يوم اضطرابات وتظاهرات

تقع في كل سنة في العالم العربي بأسره. إن عرب فلسطين لم يتوقفوا قط عن مقاومة فرض أحكام الانتداب أو الاحتجاج عليها. فانقلبت فلسطين إلى بلد كفاح ونضال وقاتل بدلا من أن تكون، كما هو طبيعي، بلد سلم ووثام إذ أنه لا يوجد في العالم شعب يحترم نفسه يستطيع أن يسمح، مهما كانت الظروف والأحوال، بإدخال غرباء إلى بلاده بالقوة والعنف، وبقصد السيطرة عليها، دون أن يكون له الحق في إبداء رأي في مصير بلاده.

إن عرب فلسطين قاوموا وثاروا في مناسبات عديدة دفاعاً عن أنفسهم، وإن الوضع في فلسطين اليوم ليس أحسن مما كان عليه قبل ثلاثين سنة. والعرب اليوم في جميع العالم العربي، لا في فلسطين وحدها، في حالة قلقه جداً وتوتر شديد حيال قضية فلسطين. فهم مقتنعون كلهم بأنه ليس من الحق ولا من العدل أن يحرم عرب فلسطين من حقوقهم في الحكم الذاتي، وتقرير المصير. وليس من الصحيح أن يمسكوا عن استقلال فلسطين بينما نرى الدول العربية المجاورة كالعراق وسورية ولبنان وشرق الأردن التي كانت شبيهة بفلسطين، وكلها جزء من الامبراطورية العثمانية، قد نالت استقلالها.

إن عرب فلسطين في حالة رقي وتقدم كعرب أي دولة من الدول المذكورة التي نالت استقلالها. وإن رغبات أهالي فلسطين في الاستقلال ورفضهم التسرب الصهيوني كانا قد أعرب عنهما بصورة رسمية أمام لجنة "كنك كراين" التحقيقية التي أوفدها المرحوم الرئيس ولسن في أوائل سنة 1919.

إننا نحن الذين في العراق تهمننا مشكلة فلسطين بصورة مباشرة، لا لأننا نرتبط مع عرب فلسطين بجميع الروابط التي تكوّن أمة واحدة فحسب، بل لأن فلسطين واقعة من الوجهة الجغرافية في مركز جد حيوي للعراق من الوجهتين الاقتصادية والسوقية (الاستراتيجية)، فضلا عن ذلك فإن في العراق نحواً من 150,000 يهودي ترتبط مصالحهم ورفاهيتهم بمصالح البلاد ورفاهيتها بصورة عامة. وقد عاش المسلمون والمسيحيون واليهود في العراق معاً بسلام ووثام لعدة قرون خلّت، غير أن الصهيونية قد تسمم جو الانسجام والوثام بين اليهودي العراقي وأخيه

غير اليهودي، وعليه يجب أن نتأكد من أن الصهيونية لا تقوم في العراق بتعكير صفو العلاقات الحسنة السائدة بين جميع مواطني العراق.

2 – أهداف الصهيونية وادعائها وأساليبها

إن العرب منذ أن صدر تصريح بلفور، كانوا قد أعربوا عن تخوفهم من المطالبين الصهيونية واشمئزازهم منها، وبذلت الدولة المنتدبة جميع ما في وسعها لتهدئة مخاوف العرب من نوايا الصهيونية، ولكن الزمن والاختبار بررا مخاوف العرب هذه. إن الصهيونية تقدمت في بادئ الأمر بمطالب وضيعة ثم انكشف النقاب عن مطامعها فيما بعد رويداً رويداً.

إن الصهيونية الرسمية تقف اليوم حيث وقف المتطرفون قبل ثلاثين سنة، أي إنشاء دولة يهودية في فلسطين. إن المتطرفين اليوم لا يكتفون بفلسطين وحدها بل يريدون ضم شرق الأردن إليها لإنشاء دولة يهودية على الفور. وإن هذه الدولة اليهودية قد تمتد من النيل إلى الفرات فيما بعد، وقد جرت بعض التصريحات التي مآلها أن المطامع الصهيونية عبارة عن تسرب وتغلغل اقتصادي فظيع، إن لم يكن سياسياً، إلى بلدان الشرق الأوسط أجمع. إن منهج "بلمتور" الذي يمثل اليوم المنهج الصهيوني الرسمي هو عبارة عن جعل فلسطين دولة يهودية (كومن ويلث) تفتح فيها أبواب فلسطين على مصاريعها لهجرة يهودية غير محدودة وتزويد الوكالة اليهودية بسلطة السيطرة على الهجرة وإعمار البلاد. ومعنى هذا، على وجه التأكيد، أن الصهيونيين قد تعدوا بصراحة حدود تصريح بلفور وتجاوزوا صك الانتداب. وهذا هو بعينه ما كان يتوقعه العرب من صك الانتداب وتصريح بلفور. فالدولة المنتدبة تصر على القول بأنها لم تفسر هذا الانتداب بكونه وعداً لإنشاء دولة يهودية ولم يدر في خلدنا مطالب ومطامع صهيونية لا حد لها، ولكن الحقيقة هي أن هذه المطالب والمطامع قائمة بالذات. ومن رأبي أنه لولا المطامع الصهيونية والعدوان الصهيوني لما كانت هنالك اليوم مشكلة تسمى بمشكلة فلسطين. إن هذه الأمور هي منشأ كل الخلاف، ونحن إن لم نجعل الصهيونيين بصورة قطعية ونهائية ينبذون حلمهم السياسي هذا فلن يسود السلم في الشرق الأوسط.

إن فلسطين تغزوها اليوم جماعات مسلحة من المهاجرين غير الشرعيين تقلبهم إليها
البواخر، والإرهاب بالغ حده في كل مكان وزمان. وإذا لم يعد هذا عملاً عدوانياً، وإخلالاً بالسلم
الدولي فما هو العدوان إذن !!!

إن الصهيونيين قد استعانوا بحجج كثيرة لتبرير السيطرة التي ينوونها على فلسطين.
فأول هذه الحجج هي علاقتهم التاريخية بفلسطين. فهذه الحجة غير واردة لأن العلاقات التاريخية
بالبلدان أو بالأراضي التي تسكنها الشعوب اليوم لا يمكن أن تبرر التنقلات بين سكان العالم، وإذا
ما سمح بأمر مثل هذا فحينئذ يجب على معظم بلدان العالم أن تقوم بمبادلة السكان ولا يستطيع
مواطنو أمريكا الجنوبية الذين هم من أصل إسباني من العودة إلى إسبانيا بدون إذن من الحكومة
الإسبانية، كما أن مواطني الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ونيوزيلندا الذين هم من أصل
انكليزي لا يحق لهم العودة إلى انكلترا بدون موافقة حكومة المملكة المتحدة. إن الرابطة التاريخية
التي تربط هذه الشعوب هي حديثة بالنسبة لغيرها ولا ترجع إلا لألفي سنة. حتى ولو قبلنا هذا
المبدأ فإن اليهود من الوجهة التاريخية ليس لهم الحق في فلسطين أكثر من سكانها الحاليين. إن
اليهود كانوا بالفعل قد حكموا جزءاً من فلسطين لمدة لا تربو على 240 - سنة ولم يسكنوها أكثر
من 800 سنة وهي المدة التي قضاها العرب في حكم إسبانيا ثم إن عرب فلسطين هم في الغالب
منحدرين من شعوب سكنت فلسطين قبل اليهود وأقاموا فعلاً فيها لـ 1400 سنة الماضية.

أما بشأن استمرار العلاقة الروحية التي لليهود بفلسطين فهذا لا يعطيهم الحق بالعودة
إليها أيضاً لأن فلسطين من الوجهة الروحية أرض مقدسة في نظر المسيحيين والمسلمين واليهود
على حد سواء. وهناك أكثر من 500 مليون مسيحي ونحو 300 مليون مسلم في العالم، وكلهم
تهمهم فلسطين روحياً كما تهم اليهود. وليس هنالك من داع لأن يطالب بفلسطين كبلد يهودي
بمجرد وجود علاقات روحية لهم بها. فللمسلمين في العالم كله علاقات روحية بالحجاز، لكن
الحجاز من الوجهة السياسية تعود لسكانها. وفضلاً عن ذلك فإن المسلمين، عملاً بتقاليدهم الحرة
والتسامح الديني إزاء أهل الكتاب، (المسيحيين واليهود) قد أظهروا كيف يعيش المسيحيون
والمسلمون معاً بوائام وسلام واطمئنان في فلسطين، ولكل من هؤلاء حريته في العبادة. إن اليهود

قد تمتعوا وسيتمتعون بحرية العبادة والتسامح تحت حكم المسلمين. ولكن الصهيونية قد سممت هذا الجو وقلبت فلسطين من محل كانت تسوده الحياة السلمية والروحانية لجميع البشر إلى محل يسوده النزاع والكفاح وسفك الدماء.

ويدعي الصهيونيون بشيء آخر وهو أن العرب متأخرون، وأن الصهيونيين الذين يفدون إلى فلسطين يساعدون العرب مادياً ويرفعون مستوى معيشتهم. إن هذا الإدعاء لهو ادعاء استعماري قديم بال، وهو نفس ما دعي "بعبء الرجل الأبيض" ولكن خطأ هذا الادعاء قد تبين للعالم بجلاء، فقد وقع اعتداء تلو الآخر، وقامت حرب تلو الأخرى من جراء هذا الادعاء الذي سئمه العالم. والحقيقة هي أن هذا الادعاء ما هو إلا عذر للسيطرة. إن العرب لا يريدون رفع مستوى معيشتهم بشكل يؤدي إلى خسارة بلادهم، وتدفع العناصر الغريبة التي جاءت إليه للسيطرة عليه. إن العرب ليسوا بالعنصر المتأخر فلهم تاريخهم المجيد الشامخ، ولا يحتاجون إلى الصهيونية لتمدينهم وتثقيفهم. ومن المؤكد أن العرب لا يرحبون بكثير من الأشياء التي جلبتها الصهيونية إلى فلسطين باسم المدنية والثقافة، فالعرب يريدون أن يتقدموا في العالم الحديث بطرقهم الخاصة بهم ومن تلقاء أنفسهم، لأنه لا يتسنى إحراز ثقافة حقيقية بالفرض أو التقليد السطحي. والعرب وهم يواجهون العالم الحديث لهم وطيد الأمل بإحراز ثقافة جديدة تتفق كل الاتفاق وفلسفتهم العظيمة، ورسالتهم العالمية الخالدة، وهي ثقافة تقوم على أساس الأخوة البشرية دون التمييز بين عنصر وعنصر أو بين دين ودين، إذ أنهم لا يؤمنون بنظرية التفوق العنصري. إن الصهيونية كالنازية تركز على التمييز العنصري والديني، ولا يمكنها أن تخلق الثقافة التي يريدها العربي الحديث لنفسه. فلقد سبق للصهيونية أن فرقته بين استخدام العرب في ما يسمى بأراضي القومية التي لا يجوز فيها استخدام أحد من العرب. أما بشأن التقدم المادي فإن العرب يستطيعون أن يقوموا بذلك على وجه أفضل دون تدخل الصهيونيين. فنحن في العراق قد وجدنا الطريقة الخاصة بنا في سبيل التقدم المادي والثقافي فلم تكن لنا حاجة إلى صهيونيين لفتح ألف من المدارس الابتدائية، وإيفاد المئات من الطلاب إلى المعاهد العلمية الأوروبية والأمريكية، وتأسيس مئات من المستشفيات والمراكز الصحية في العراق، والقيام بمشاريع الري الخطيرة المهمة. نعم إننا ما زلنا في حاجة إلى

الوقت لبلوغ جميع أهدافنا لكننا لا نحتاج إلى أحد من الصهيونيين في سبيل إتمام ذلك. وهكذا نرى أن الحجة الصهيونية القائلة بقيامها بأعباء الرجل الأبيض في فلسطين مرفوضة بتاتا.

وهناك حجة أخرى استعان بها الصهيونيون، وهي أن لدى العرب مساحات واسعة من الأراضي وأنه ليس لدى اليهود وطن ما وهم في حاجة إلى وطن. إن القسم الأول من هذه الحجة يمكن دحضه بسهولة إذ أنه، بغض النظر عن اتساع بلد ما، فمن حق أهله أن يبتوا في قبول من يريدون قبوله. إن العرب ليسوا الشعب الوحيد الذي لديه مساحات واسعة من الأراضي، فالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا وأمريكا الجنوبية تمتلك كلها مساحات واسعة من الأراضي وهي بحاجة إلى الإنماء والإعمار ولكننا لا نجد من يقول بوجوب فرض هجرة ما هدفها السيطرة السياسية الدخيلة. أما القسم الثاني من الحجة فهو أشد خطورة وأعني به مسألة عدم وجود وطن لليهود. إن هذه الفكرة لفكرة خطيرة جداً. لماذا يفترض الصهيونيون بأن اليهود بلا وطن، إنني أعتقد بأن وطن اليهودي العراقي هو العراق. وإنني لأكره أن أتصوره يشعر بأنه بلا وطن. إن وطن اليهودي الإنكليزي هو إنكلترة، ووطن اليهودي الفرنسي فرنسا ووطن اليهودي الجيكوسلوفافي هو جيكوسلوفاكيا. وعليه فليس هناك يهود بلا وطن. وإن الصهيونية بنشرها هذه الفكرة لا تؤدي لليهود في كل أنحاء العالم، أية خدمة لأنها بعملها هذا تسيء إلى ولائهم وإخلاصهم للبلاد التي يسكنونها، وتجعلهم يشعرون بأنهم غرباء عن تلك البلاد: وإذا ما قبلنا بهذا المبدأ فسيعتبر اليهود في كل مكان غرباء وبذلك يبدأ العداء ضد السامية. وعلى فرض قبول هذا المبدأ أي عدم وجود وطن لليهود، كمبدأ عالمي وإن اليهود في حاجة إلى وطن فينبغي عليهم إذن أن يبحثوا عن مكان آخر غير فلسطين والعالم العربي. إن فلسطين لا تستطيع قبول هذا المبدأ كما أن العالم العربي ليس مكاناً لوطن سياسي يهودي. غير أنني أأمل بأن الديمقراطية ستسود العالم بأسره بحيث يشعر كل يهودي، أينما كان، بأنه في وطنه وأن نشر فكرة عدم وجود وطن بين اليهود تجعل الصهيونية خطراً على السلم والوئام في داخل كل قطر يسكنه اليهود. وهكذا تنتشر فكرة العداء للسامية، وتشجع الفروق العنصرية والدينية.

ويدعي الصهيونيون بأنه في وسع فلسطين قبول الملايين من المهاجرين اليهود، ولا ترى سبباً لمعارضة العرب في ذلك. إن الجواب على هذا يتضمن ثلاث نقاط أولاً: إن تقدير الصهيونيين لمقدرة فلسطين الاستيعابية مبالغ فيه جداً ويستند إلى نظام اقتصادي خاسر. ثانياً: يظهر أنهم لا يأخذون بنظر الاعتبار نمو السكان العرب الطبيعي هؤلاء العرب المزدحمين في جزء قفر من فلسطين. وثالثاً: وحتى إذا سمحت المقدرة الاستيعابية بذلك، وهذا خلاف الواقع، فالعرب يرفضون أية هجرة غرضها السيطرة السياسية، ولهم الحق في أن يفعلوا ذلك.

ولأجل أن ينال الصهيونيون غاياتهم، فلديهم من الوسائل ما لا يتيسر للعرب، وبذلك لا يعرف العالم الشيء الكافي عن حقوق العرب، كما أن صوت العالم العربي لا يسمع كما يجب في العالم الغربي. ولذا فإن مهمة لجنتم مهمة خطيرة ودقيقة جداً إذا أريد أن يعلو الحق على الباطل. وفي ما يلي بعض الوسائل الفعالة التي يستخدمها الصهيونيون لإظهار مطامحهم ونواياهم العدوانية بمظهر الحق:

(أ) **الضغط الاقتصادي:** يستخدم الصهيونيون جميع ما في وسعهم من ضغط اقتصادي لحمل العربي على بيع أرضه، فهم يستميلونه ويضعفونه بعرض مبالغ جسيمة من المال لقاء أرضه، وهكذا يجد العربي الضعيف نفسه في مدة قصيرة بدون أرض وبدون مأوى. ويستخدم الصهيونيون هذا الضغط الاقتصادي لكسب التأييد والمعاضدة ولصد الهجمات. والكل منا يعرف أشخاصاً معروفين من غير اليهود قد استخدموا من قبل الصهيونيين لقاء مبلغ وافر من المال لتحقيق غاياتهم. كما وإننا نعرف أشخاصاً معادين للصهيونية ممن لا يستطيعون رفع أصواتهم خوفاً من تهديدات الصهيونيين لهم بالمقاطعة الاقتصادية. لكن المال والضغط الاقتصادي ليس بوسعهما أن يقلبا الباطل حقاً.

(ب) **النفوذ السياسي:** إن للصهيونيين في بعض البلدان مجالاً مباشراً للاتصال بأصحاب النفوذ من رجال الدولة، وبنفوذ الصهيونيين وتأثيرهم المالي الغلاب يكسبون أتباعاً في

مختلف الأقطار والأمصار. ولكن مع ذلك فإن هذا لا يمكن أن يجعل الباطل حقاً، والخطأ صحيحاً.

(ج) أثر الدعاية: إن لدى الصهيونيين أداة منظمة تنظيماً متقناً للدعاية الواسعة، لا يستطيع العرب مجاراتها اليوم، فلهم اتصالاتهم المعروفة بالصحف في معظم البلدان الغربية، هذا علاوة على ما لديهم من صحف ومجلات خاصة بهم. فعن طريق الصحافة يحاول الصهيونيون أن يبرهنوا بأن باطلهم حق وأن حق العرب باطل. ولهم في هذا أساليب ثلاثة: أولها أنه ليس هنالك ما يقف في سبيل إحراز أو تحقيق غاياتهم سوى هؤلاء الأفندية النازيين وأصحاب النفوذ الإقطاعيين، وأن السواد الأعظم من العرب لا يهمهم مجيء الصهيونية لا بل يزدهرون تحت ظلها. وإني لفي غنى عن إبداء أي رأي بشأن دعاية كهذه. فلو قدر لكم التجول في العالم العربي لوجدتم بأم أعينكم ما إذا كانت طبقة الأفندية هي المعارضة للصهيونية أم لا؟ وإني لأرغب بأن أؤكد لكم هنا أنه منذ أيام النبي محمد (صلعم) حتى يومنا هذا لم يتحد العرب في شيء ما كاتحادهم في مقاومة الصهيونية ودرء خطرهما، وهذا يصدق ليس على عرب فلسطين فحسب بل على العرب في طول العالم العربي وعرضه (راجع كتاب فاندر مولن – بعنوان: من عدن إلى حضرموت).

وبناء عليه أود أن أؤكد ثانية أن ليس في الإمكان أن يقوم سلم بين الصهيونية السياسية والعالم العربي.

أما الطريقة الثانية التي يسلكها الصهيونيون في دعايتهم هذه فهي قضية الأشخاص المشردين في أوروبا. إن هذه القضية هي قضية إنسانية يحاول الصهيونيون استغلالها والتدرب بها لغاياتهم السياسية. وعليه يجب حسمها بطريقة دولية، إذ قد سبق لهيئة الأمم المتحدة أن أحدثت منظمة خاصة لمعالجتها. ويجب أن لا تعقد هذه القضية الوضع القائم في فلسطين، والناشئ من نضال الصهيونية بغية السيطرة السياسية عليها. إن هذه المحاولة من

شأنها إثارة القلاقل وإشاعة الاضطراب في العالم العربي، وهذا عمل غير إنساني باعتبار أنه لا يجوز محاولة رفع ضيم وحييف عن شعب على أساس إنزال ضيم وحييف بشعب آخر.

أما الوسيلة الثالثة للدعايات الصهيونية فهي مباحاتهم وتبجحهم بما أنجزوه من الأعمال في فلسطين، فهم يدعون أنهم قلبوا الصحراء القفراء القاحلة إلى جنات عدن، وأنشأوا المزارع العصرية، وأسسوا المعامل الكثيرة، وشيدوا المستشفيات الضخمة وغير ذلك من الأعمال. لدينا ملاحظتان على هذا الأسلوب من الدعاية أولاهما أنه في استطاعة أي شعب القيام بالأعمال الإنشائية نظراً لما يتدفق عليهم من الأموال الصهيونية غير المحدودة من أمريكا، وما لديهم من وسائل علمية وفنية. إن العرب يبذلون قصارى جهودهم بما لديهم من أموال محدودة لتحسين حالتهم ورفع مستواهم، وثانيهما هو أن الصهيونيين يكادون لا يذكرون شيئاً عما تكبده من الخسائر العظيمة في إنجاز الأعمال التي قاموا بها. ومن المعروف الآن جيداً أن اقتصاديات الصهيونية في فلسطين فيها عجز يقدر بنحو 40% يسد ما يريدها من إعانات ومنح مالية. ورب قائل يقول: هل الصهيونيون أغبياء إلى هذا الحد؟ إن الجواب على ذلك بسيط جداً وهو أن الصهيونيين لم يجيئوا إلى فلسطين وحدها فحسب لأنها بلد قاحل تغطيه الرمال والصخور. وما فلسطين بنظرهم إلا جسر سيستخدمونه لاستغلال الشرق الأوسط اقتصادياً. وهكذا إننا نرى أن ما يحلم به الصهيونيون هو أن ما سيجنونه من أرباح طائلة في المستقبل سيعوض لهم عن هذه الخسائر الوقتية، ولذا فعلى العالم بأسره أن يفحص ويمحص الدعاية الصهيونية والنفوذ الصهيوني على الصحافة العالمية هذا إذا ما أردنا تحقيق السلم في عالم ديمقراطي، ومن الضروري جداً وقف الإعانات المالية التي تمنح لهم باسم الإنسانية من أجل القيام بالأعمال الإرهابية والغزو والعدوان في أرجاء فلسطين هذا إذا ما أردنا تحقيق السلم في هذا القسم من العالم.

لقد استعان الصهيونيون المتطرفون خلال سنوات الحرب الأخيرة بطريقة جديدة وهي الركون إلى القوة. نعم من المحتمل أن البعض من الصهيونيين في هذه الحرب انضم إلى قوات الحلفاء لغرضين: أولهما القضاء على هتلر وثانيهما فتح فلسطين والاستيلاء عليها بالقوة،

ومن المؤكد أن هذه الفئة تعلمت بعض الأساليب النازية الفظيعة في فن القتال وهي الآن تطبقها في فلسطيننا العربية.

هذه هي بعض الطرق والأساليب الصهيونية التي يريدون بواسطتها السيطرة على فلسطين لكن الحقيقة الناصعة هي أنه لو كان الصهونيون قد جاءوا بالقوة مباشرة لغزو فلسطين، كما فعل من قبلهم الصليبيون، لكان ذلك أجدى وأنفع لكل من تهمة قضية فلسطين. إن هذه الوسائل والحيل والطرق المعوجة لا يمكن أن تخدم قضية السلم. إن الحقيقة التي لا مرأ فيها هي أن العرب يقاومون بالإجماع الصهيونية السياسية، وإن الصهونيين لا يستطيعون ولن يستطيعوا أن يؤسسوا دولة في العالم العربي. إن محاولة كهذه لمحاولة فاشلة لأنه ليس طبيعياً أن تفرض اليوم دولة دخيلة على العالم العربي.

3 - ما هي الأمور التي تنطوي عليها مشكلة فلسطين

إن الأمور التي تنطوي عليها مشكلة فلسطين هي هل في الإمكان أن تسود مبادئ السلم والعدل، أم في الإمكان نجاح السيطرة بقوة المال والدعاية المشوهة والضغط السياسي والأعمال الإرهابية فيه؟

إن ما تنطوي عليه هذه المشكلة هو ولاء اليهود في كل مدينة من مدن العالم. هل المراد استئصالهم وإخراجهم من بلادهم التي يعيشون فيها أم مساعدتهم ليعيشوا في عالم ديمقراطي حر؟

ماذا يكون مصير هيئة الأمم المتحدة وتطبيق مبادئ ميثاقها في الوقت الذي يقوم المهاجرون غير الشرعيين بغزو فلسطين وتجري أعمال الإرهاب والعنف على مرأى ومسمع لجننتكم؟

إن ما يترتب على هذه القضية هو العلاقة القائمة بين الشرق والغرب. لأن الشرق ينظر إلى الصهيونية كخطة غريبة دبرتها الأساليب الاستعمارية البالية، تلك الأساليب التي لا تحترم حقوق ورغبات الشعوب المغلوبة على أمرها.

إن ما تنطوي عليه هذه القضية أيضاً هو طابع فلسطين الروحي - هل ستبقى فلسطين مهداً للسلم والقدسية حيث تجد روح الإنسان ملجأً أم هل ستصبح مكاناً يسوده الكفاح وسفك الدماء بين شعوب وأديان وعناصر مختلفة؟

نعم إن قضية فلسطين يترتب عليها أمور كثيرة ومع ذلك فالمسألة بسيطة وعلاجها سهل التطبيق. فهي بسيطة بالرغم من ادعاءات الصهيونيين، ودعايتهم التي خلقت معضلة هي الرغبة في الغزو والسيطرة. وهي سهلة الحل بالرغم من عنف الإرهابيين لأننا نعتقد بأن الإرهاب سهل القضاء عليه إذا استعين بالحزم في إدارة الوضع.

4 - استنتاجات ومقترحات

وفي الختام أود أن أخص آرائي وتوصياتي كما يأتي:

1 - إن فلسطين جزء لا يتجزأ من العالم العربي، والسكان العرب هم أصحاب البلاد الشرعيون ولن يتخلوا عن فلسطين أو أي قسم كان منها. وليس هناك ما يعكر صفو العلاقات بين العرب واليهود، ففي استطاعتهم أن يعيشوا معاً في سلم ووثام كما عاشوا طيلة آلاف السنين الماضية.

2 - إن الانتداب ليس له أساس أدبي أو قانوني، وقد سبب كثيراً من القلق والاضطراب، وسيستمر هذا القلق والاضطراب على الازدياد من سنة لأخرى، ويخل بالسلم والطمأنينة في جميع أقطار الشرق الأوسط ما لم تقم هيئة الأمم المتحدة بالقضاء على مصدر هذا القلق نهائياً وبصورة تامة.

3 - إن مصدر هذا القلق هو الصهيونية السياسية ومطامعها المتزايدة، وما لم يقلع الصهيوونيون عن سياستهم هذه فسوف لا يقوم سلم في فلسطين، ولا في الشرق الأوسط. وتلافي هذا ليس بالأمر الصعب لو صرحت هيئة الأمم المتحدة بأن مطامع الصهيونية السياسية خطر يهدد السلم والأمن في الشرق الأوسط، وذلك لأن القومية العربية والصهيونية السياسية لا يمكن أن يعيشا جنباً إلى جنب في فلسطين بل من المحتم زوال أحدهما. ولما كان العرب هم سكان فلسطين الشرعيين فليس في وسعهم التنازل عن جزء من عالمهم العربي وسيحاربون عاجلاً أم آجلاً دفاعاً عن كيانهم السياسي وعن بلادهم إذا سمح للعدوان الصهيوني بالاستمرار. ويجب أن ينصح الصهيوونيون بالاكْتفاء بالوطن الثقافي الروحي الذي أنشأوه في فلسطين وأن يقلعوا عن أساليبهم السياسية العدوانية الممقوتة.

4 - وعلى الصهيوونيين كافة أن يفهموا جيداً أنه لم يقطع لهم وعد بإنشاء دولة يهودية وأنه ليس في الإمكان مطلقاً تأسيسها في فلسطين أو في قسم منها. وأن دولة كهذه لا يمكن أن تعيش بجانب شعب معاد يحيطها من كل صوب وحدث. وأنها ستكون دوماً مصدراً لحرب وقتال.

ونحن لا نعتقد بأن اليهود بحاجة إلى دولة لأنهم ينتمون إلى البلدان التي يقطنونها. أما إذا ارتأى البعض بأن إنشاء دولة يهودية ضرورة من الوجهة الإنسانية فيجب أن يعالجوا ذلك في مكان غير فلسطين حيث لا قلاقل ولا متاعب.

5 - يجب إنشاء دولة ديمقراطية موحدة (Unitary) في فلسطين يقطنها شعب فلسطين في سلم ووثام بغض النظر عن عنصرهم ودينهم. أما الذين لا يريدون أن يعيشوا في دولة كهذه فعليهم أن يغادروا فلسطين.

6- إن بعض الصهيونيين الذين يريدون إنشاء دولة يهودية، مهما كانت صغيرة في بادئ الأمر والبعض من غير اليهود الذين لم يدرسوا الوضع دراسة كافية يقترحون تقسيم فلسطين لا يلمون بحل للقضية. أود أن أوضح بجلاء ووضوح أن العرب لن يقبلوا بالتقسيم مهما كان شكله. وهم سيحاربونه ويقاومونه عاجلاً أم آجلاً لأنهم لن يسمحوا بإنشاء دولة يهودية في العالم العربي مهما كان حجمها أو شكلها وفضلاً عن ذلك فإن التقسيم لا يمكن تنفيذه لأكثر من سبب واحد إذ أنه لا يمكن البتة فصل العرب من اليهود كلياً كما أن الدولة التي ستقام على أساس التقسيم لا يمكن على الإطلاق أن تقف لوحدها من الوجهة الاقتصادية. لكن هذه الاعتبارات ثانوية في نظر العرب وذلك بالنظر لعزمهم الأكد على محاربة فكرة التقسيم أسوة بفكر الدولة اليهودية. وإني لأرجو بأن اللجنة ستعير هذه النقطة اهتماماً خاصاً.

7- إن فلسطين مزدحمة الآن بالسكان بالنسبة لغيرها. هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار قفر البلاد ونمو السكان الطبيعي وهذا هو الأمر الذي يقضي بوقف الهجرة بالمرة، وعلى فرض أن هذه الهجرة ممكنة فيجب أن لا تجري من دون موافقة عرب فلسطين ورضاهم، كما أنه يجب الأخذ برأيهم فيما يخص مقدرة فلسطين الاستيعابية بنظر الاعتبار وفي تلك الحالة يجب ألا تكون الهجرة "تميزية". إذ لا يوجد مبرر أن تكون الهجرة مقصورة في الغالب على اليهود بل ينبغي أن توزع نسبة الهجرة على جميع المسلمين والمسيحيين واليهود الذين يرغبون في المجيء إلى فلسطين ليحيوا فيها حياة روحية.

8- على الدول أعضاء الأمم المتحدة أن تعترف بفلسطين كدولة ديمقراطية مستقلة وهكذا تصبح فلسطين عضواً في جامعة الدول العربية وفي هيئة الأمم المتحدة.

لقد برهنت الاختبارات خلال الثلاثين سنة الماضية بأن حقوق عرب فلسطين السياسية قد أصابها الحيف والظلم الأمر الذي أدى كله إلى نزاع وقلقل طيلة تلك المدة، وقد أوفدت لجان كثيرة رفعت تقارير كانت كلها من دون جدوى. وقد أصبح العرب الآن في حالة

يأس، ولم تعد لهم ثقة في اللجان وفي التقارير وعسى أن ترفع لجننتكم التي أرجو أن تسير في ضوء مبادئ ميثاق هيئة الأمم المتحدة توصيات نهائية حاسمة قائمة على العدل بحيث يسود السلام والوثام في فلسطين المقدسة أرض السلام وفي الشرق الأوسط بأجمعه.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbrt@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه الوثيقة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/resources/documents>